

التناول التاريخي لدور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بين جدلية العلم والسياسة

Historical approach to the role of the Association of Algerian Muslim

Scholars in Algeria between the dialectic of science and politics

نور الدين بن قويدر، جامعة باتنة 01، الجزائر،

noredine.benkouider@univ-batna.dz

تاريخ إرسال المقال: 09-01-2025. تاريخ قبول المقال: 06-02-2025

المخلص: إنّ مشروع الاحتلال الفرنسي منذ بدايته إلى نهايته، كان يهدف بشتى الوسائل والطرق للقضاء على معالم الشخصية الجزائرية ومقوماتها، خاصة اللغة العربية والدين الإسلامي، باعتبارهما عائقين في طريقه، لذا سعى لمسحهما واستبدالها بقيم غربية وغريبة تخدم مصالحه، ولنجاحه رمى بضلال الفقر والجهل والتجنيس على الأمة الجزائرية، لكنّه اصطدم بمشروع جمعية العلماء، الذي أنقذ مقوماتنا من الذوبان والتشويه، وبعث بنهضة علمية في وقت مناسب، وخلّص الأمة من محاولة الاحتلال القضاء على الهوية الإسلامية، ساهم ميلاد الجمعية ومرجعيتها العربية الإسلامية في تحقيق نهضة إصلاحية وعلمية، ولقد تجلّى نجاحها في نشاطاتها الكثيرة والمتعددة، ونبوغ جيل من الأدباء والمفكرين والعلماء ساهموا في نشر المعرفة والعلم و التصدي للمشروع الاستعماري، وكان لهم أثر وصدى داخل الجزائر وخارجها.

الكلمات المفتاحية: الجمعية، العلماء، النهضة، الإصلاح.

Abstract: The French occupation project, from its beginning to its end, aimed by all means and methods to eliminate the features of the Algerian personality and its components, especially the Arabic language and the Islamic religion, considering them as obstacles in its path, so it sought to distort them and replace them with strange and Western values that serve its interests, and for its success it threw the shadows of poverty, ignorance and naturalization on the Algerian nation, but it clashed with the project of the Association of Scholars, which saved our components from dissolution and distortion, and sent a scientific renaissance at an appropriate time, and saved the nation from the occupation's attempt to eliminate the Islamic identity, the birth of the association and its Arab-Islamic reference contributed to achieving a reformist and scientific renaissance, and its success was evident in its many and varied activities, and the brilliance of a generation of writers, thinkers and scholars who contributed to spreading knowledge and science and confronting the colonial project, and they had an

Keywords: Association, Scholars, impact and resonance inside and outside Algeria. Renaissance, Reform

مقدمة:

لقد حاول الاحتلال الفرنسي فرض مشروعه وسياساته بغية نهب الخيرات ومحوي هوية الأمة الجزائرية وتغريبها، لكن ميلاد جمعية العلماء ومشروعها الإصلاحي حالا دون ذلك، وأهمية هذه الدراسة تكمن في معالجة إشكالية الجدل القائم بين المهتمين والباحثين حول دور الجمعية، فالبعض أشاد بدورها الذي مزج بين المجال التعليمي والإصلاحي و السياسي، وحربها ضد الجهل والبدع وأشاد بمواقفها المشرفة من الاحتلال وقوانينه وأعوانه، أما البعض الآخر فقد همّش دورها وحصره في التعليم و الوعظ، وحجر عليها العمل السياسي بدعوى أنّها جمعية دينية تهذيبية، وهي غير مؤهلة للعمل السياسي، وذهب منهم إلى الكتابة عنها بحبر سلبي مستغلا الصعوبات التي واجهتها، وانشقاق البعض عنها وتعاونها مع الاحتلال، فأغفل هذا وذاك بقصد أو بغيره أدوارها المتنوعة وتضحياتها ويطش الاحتلال لها واستسلم لكتابات قست أحيانا على رموز الحركة الإصلاحية والحركة الوطنية واستهانت بدور الجمعية وخنقت مجاله بين الدرس والقلم.

أما الهدف من هذه الورقة العلمية فهو توضيح الصورة الحقيقية لدور الجمعية العلمي والسياسي في مواجهة مشروع الاحتلال الفرنسي، ولإثبات ما نذهب إليه، ودراسة هذه الإشكالية اتبعت المنهج الوصفي والتحليلي لرصد الوقائع والأحداث وتحليلها، وجزأت الإشكالية إلى عدّة تساؤلات منها: ما طبيعة مرجعيات الجمعية والدور الفعلي الذي لعبته خلال الحقبة الاستعمارية؟ وهل انحصر دور الجمعية في التعليم والتهذيب بالمدارس والمساجد؟ ما مدى نجاح مشروع الجمعية في التصدي لمشروع الاحتلال الفرنسي؟ وما هي القضايا والاهتمامات شغلت الجمعية محليا ودوليا؟، وما انجازات الجمعية المحققة من الميلاد إلى الذبول (حلّها)؟.

المبحث الأول: المؤثرات الفكرية لجمعية العلماء

استندت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في حركة الإصلاح و النهضة على مؤثرات متنوعة وكانت بمثابة مرجعيتها ودعامتها في مشروعها الحضاري الذي واجهت به المشروع الاحتلال الفرنسي التغريبي¹ ومن بين تلك المؤثرات:

¹ - هي جمعية دينية وإصلاحية ضمت ثلثة من العلماء والفقهاء، وسخّرت وقتها وجهها للعروبة والإسلام على مدار ثلاثين سنة، فأحييت اللغة العربية وأعادت الناس إلى منابع تعاليم الإسلام الأولى في الجزائر، فأنفذت أمة من الكفر والتعجم وطمس الإسلام، ينظر إلى: محمد البشير الإبراهيمي، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، 10 ماي 2017، 18:29، AH.

المطلب الأول: المؤثرات الداخلية (المحلية):

اعتمدت جمعية العلماء في إسهاماتها في النهضة والإصلاح على مقومات الهوية الحضارية الجزائرية المبنية

على العروبة والإسلام¹، وغيرها من المؤثرات ويمكن إبراز ذلك كما يلي:

1- الدين الإسلامي : إنّ الإسلام في نظر جمعية العلماء هو النهج السليم لكل فجوات حضارية أحدثها الاحتلال الفرنسي في المجتمع الجزائري بشتى المجالات خاصة الاجتماعية والثقافية ، وهذا ما يؤكدّه " بن باديس " في مقال له بعنوان " نحن مسلمون وكفى " ² واستطرد " ... هو دين جامع لكل ما يحتاج إليه ³ وهذه النظرة المستمدة من أحكام الدين ⁴ فالجمعية حاولت العودة بالمجتمع الجزائري إلى الأسس والمفاهيم الإسلامي، بحد الدور الذي أحلته بعض الطرق الصوفية التي سخرها الاحتلال ⁵. في مجابهة الدين الإسلامي ولكونها مرجعية النهضة وسبيل تحقيق الإصلاح والنهضة اجتماعيا وثقافيا⁶. إنّ النهضة لا يمكنها أن تتأسس دون أن تتجه الأمة إلى طريق كسب المدنية والتقدم بالعودة إلى الذات وتراثها الروحي والعقلي وفهم أطوار تاريخها و عوامل رقيها وأسباب اضمحلالها ، والتأمل في تراث الأمم الأخرى لتدخل طور (الإفادة والاقتباس) ، و تعرف ما تأخذه وما تدعه من عطاء الخبرة الإنسانية⁷، فالنهضة تحتم الأخذ والاقتباس وفق تصورات الهوية الإسلامية ، والعودة إلى النموذج الحضاري الإسلامي هي الدعامات الأساسية للنهضة في فكر جمعية العلماء ، يضاف له الدعائم الفكرية والإيديولوجية للمشاريع النهضوية في الفكر العالمي⁸ .. مما يبرز أفق نظرها وأبعاده، فالإسلام عند الجمعية هو النهج الأقوم لمواجهة المخاطر التي تتعرض لها الأمة الجزائرية في ظل الاحتلال الفرنسي، فهو الرافد الأساسي وهو ما أكدّه عبد الحميد بن باديس بالقول : " أنّ الإسلام الذي

¹ - الهلالي إبراهيم ، قراءة في المصادر والمرجعيات المشروع النهضوي في فكر جمعية العلماء المسلمين ، مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية العدد 44، جامعة تلمسان، ص -41.

² - الهلالي إبراهيم ، المرجع السابق، ص-41.

³ - ابن باديس عبد الحميد ، نحن مسلمون وكفى ، مجلة الشهاب ، ج 11 ، م 10 ، أكتوبر 1934.

⁴ - ابن باديس عبد الحميد ، مجلة الشهاب ، ج 3 ، م 11 ، جوان 1935.

⁵ - بوحجام أحمد ناصر: أبو اليقظان وجهاد الكلمة ، ص 42. وكذلك : مجلة الشهاب ، ج 4 ، م 13 ، 11 جوان 1937.

⁶ - الهلالي، المرجع السابق، ص-42.

⁷ - بن سميّة محمد، أسس مشروع النهضة عند الشيخ عبد الحميد بن باديس ، المضمون وصورة التعبير ، ج 1 ، منشورات المجلس الإسلامي الأعلى ، الجزائر ، د.ط ، د.ت ، ص 181.

⁸ - مراد علي ، الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر ، دار النشر ، سلسلة العالم الاسلامي، ص-300.

ندين به ... هو دين جامع لكل ما يحتاج إليه البشر أفرادا وجماعات لصالح حالهم ومآلهم ، فهو دين لتتوير العقول وتزكية النفوس¹، وعليه فإن رؤية الجمعية مستلهمة من أحكام الدين الإسلامي²، وهي تستبعد الاشتراكية كأساس لمشروعها النهضوي وذكر بن باديس أنه : "هناك ما إن تمسكت به كنت إنسان المدنية ورجل السياسة وسيدا حقيقيا ... حافظ على صحتك... نظف بدنك ونظف ثوبك... احذر كل متعلم يزهدك في علم من العلوم ... وكن أخا إنسانيا لكل جنس من أجناس البشر"³، حاولت الجمعية في مشروعها، العودة إلى الأسس السليمة الإسلامية بعيدا عن التعقيد وملابس الغموض ... وكذا محاربة الطرقية التي غيرت معالم هذا الدين... قامت بتبسيط كل الأحكام الفقهية⁴، واعتزت الإسلام دين الله الذي الذي دعا إلى الأخوة الإسلامية والإنسانية ، لا يميز بين الأجناس والألوان ، ويفرض العدل بين كل الأمم ويحرم الظلم⁵ "و" يمجّد العقل ... ويترك لأهل كل دين دينهم ... كما يشاءون..."⁶، فالجمعية اتخذت الدين الإسلامي مرجعاً لمشروعها النهضوي⁷، وأرادت "تكوين الأمة تكوينا صحيحا ... وذلك بمقاومة الأوهام والردائل ، وبث روح الوثام والتفاؤل بين المساكين على خطى الإسلام ضمن الكتاب والسنة وأثر السلف الصالح"⁸. كما كان الدين الإسلامي أحد أسس مشروع النهضة وهو ليس مجموعة من الطقوس الشعائرية والعبادات ، بل هو تشريع رباني شامل لمختلف جوانب الحياة الاجتماعية والثقافية والسياسية والاقتصادية والحضارية⁹، فالإسلام ميدانا حضاريا، وفكرا وتصورا ، رسمه القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف ، بغية العودة بالإنسان الجزائري إلى جذوره المرتبطة بـ : " العروبة " و " الإسلام " ¹⁰، وحثت الجمعية المجتمع الجزائري على الاتحاد ، ونبذت الاختلاف والفرقة ، وفي هذا يقول محمد البشير

¹ - ابن باديس عبد الحميد، نحن مسلمون وكفى، مجلة الشهاب، ج 11، م 10، أكتوبر 1934.

² - عمارة حياة ، أدب الصحافة الإصلاحية الجزائرية من عهد التأسيس إلى عهد التعددية، دكتوراه في الأدب، كلية الآداب واللغات، جامعة تلمسان، ص 31-35.

³ - ابن باديس عبد الحميد ، مجلة الشهاب ، ج 3، م 11، جوان 1935.

⁴ - ابن باديس عبد الحميد ، مجلة الشهاب، س 3، ع 49، 23 أوت 1926.

⁵ - غانم حبيب ، ابن باديس، مجلة البصائر ، س 2، ع 71، 18 جوان 1937، ص 64-65.

⁶ - البصائر، س 2، ع 71، 18 جوان 1937.

⁷ - الساعدي عبد جاسم ، جمعية العلماء المسلمين وتأثيراتها الفكرية في النهضة الجزائرية، الخميس 30 مارس 2017، AD 14:58-30-AH 30-3، 2000/04/03، العدد: 13536، ص - 21.

⁸ - بوحجام محمد ناصر ، أبو اليقظان وجهاد الكلمة، ص 42. وكذلك : مجلة الشهاب، ج 4، م 13، 11 جوان 1937.

⁹ - عجالي كمال ، الطيب العقبي أدبيا، رسالة دكتوراه الدولة في الأدب الحديث، جامعة قسنطينة ، معهد اللغة والأدب العربي، 1997-1998، ص 362.

¹⁰ - فهمي سعد ، حركة عبد الحميد بن باديس ودورها في يقظة الجزائر، دار الرحاب، بيروت، لبنان، ط 1، 1983، ص - 90.

الإبراهيمي: "... واتخذنا من الإسلام والعروبة الجزائرية محورا للدعوة إلى الاتحاد .. لا تحريكا للعصبيية الدينية أو الجنسية ...¹، ونهضة المجتمع لا يمكن أن تتحقق إلا في ظل اتحاد بين مجموع الأفراد المشكلين لهذه الأمة....²، ويقول الشيخ البشير الإبراهيمي: "دين واحد جاء به نبي واحد من إله واحد ... يجمع القلوب التي فرقت بينها الأهواء، والنفوس التي باعدت بينها النزاعات ..."³ والوحدة والنهضة لا يمكنها أن تتأسس وفق الفراغات الحضارية والتاريخية، بل ... عن طريق كسب المدنية والتقدم ... أن تعود إلى ذاتها أولا، فتستقرى تراثها الروحي والعقلي ... وتستوعب أطوار تاريخها... وأن تنتظر... النظرة الناقدة الفاحصة في تراث الأمم الأخرى ومدنياتهم بما يخولها وهي في مرحلة الإفادة والاقتباس ...⁴ ... لا ترفض التلاحق و التناقص، ذلك أن الإسلام قد جمع في بونقته ثقافات عدة انصهرت جميعها في ثقافة جامعة، ويقول الشيخ عبد الحميد بن باديس: "... وبهذه الأصول العظيمة أمكن اشتراك أمم كثيرة تحت راية الإسلام في خدمة العلم والمدنية...."⁵، فالعودة إلى النموذج الحضاري الإسلامي هي الدعامة التي يقوم عليها المشروع النهضوي... لا يعني أن العودة هي القبول في التراث و الانطواء في الماضي، وإنما يعني الانفتاح على مختلف أشكال النهوض الحضاري، وهي نظرة مستوحاة من معرفة رواد جمعية العلماء⁶، لذا ففكر الجمعية النهضوي مستلهم من رؤية إسلامية قوامها القرآن والحديث النبوي الشريف.

2- حالة الاحتلال الجاثمة على النفوس: ذاق الشعب الجزائري في ظل الاحتلال، أبشع أنواع التعذيب والظلم، فقد تقنن المستعمر في تحطيم البنى التحتية، وعمد إلى القضاء على مقوماتنا، فلم يسلم من بطشه أي منحي من مناحي الحياة ولا مجال من مجالات، حتى باتت الأوضاع المزرية لا توصف، نتيجة سياسات التقدير والتجويد، وحاول القضاء على الإسلام مستهدفا القضاء على الكيان الجزائري⁷، هذا الاستعمار الاستيطاني الذي أراد تحقيق غايته، فحاول تثبيت جذوره وتأصيلها، ورأى أن هذا الأمر لا يتحقق إلا بالقضاء على الشخصية الجزائرية ومحو أصالتها، وتذويب مقوماتها الأساسية بمحاربة الإسلام

¹ - الإبراهيمي محمد البشير، دعوة مكررة إلى الاتحاد، عيون البصائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د. ط. د. ت. ص - 336.

² - السحمراني أسعد، مالك بن نبي مفكرا إصلاحيا، دار النفائس، بيروت، لبنان، ط 2، 1986، ص 82.

³ - الإبراهيمي محمد البشير، آثار الشيخ البشير الإبراهيمي، جمع وتقديم: أحمد طالب الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ج 1، ص 90.

⁴ - بن سميينة محمد، أسس مشروع النهضة عند الشيخ عبد الحميد بن باديس، المضمون وصورة التعبير، ج 1، منشورات المجلس الإسلامي الأعلى، الجزائر، د. ط. د. ت. ص 181.

⁵ - بن سميينة، المرجع السابق، ص 184.

⁶ - مراد علي، الإصلاح الإسلامي في الجزائر، المرجع السابق، ص 300.

⁷ - سعد الله أبو القاسم، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، دار الغرب الإسلامي، ط 2- ج 1998، بيروت، ص 89.

ولغته وتشكيك النَّاس في وطنهم وانتمائهم إليه، وهكذا أصبحت أهدافه تدور حول: التنصير و الفرنسية و محو الوطنية الجزائرية.¹ وذهب الجنرال ببيجو للاعتقاد بأن: "آخر أيام الإسلام قد دنت، وفي خلال عشرين عاما لن يكون للجزائر إله غير المسيح، و أما العرب لن يكونوا ملكا لفرنسا إلا إذا أصبحوا مسيحيين جميعا، ونحن إذا أمكننا الشك في أن هذه الأرض تملكها فرنسا فإننا لا نشك في أنها قد ضاعت من الإسلام إلى الأبد²، لذا فقد تزايدت قسوة الاستعمار الفرنسي، وبالغ في محاربة اللغة العربية والدين الإسلامي وتمكن من نشر للتخلف بين النَّاس، وشجع ممارسات وطقوس لا تمت بتعاليم الدين الإسلامي الصحيح فاننتشرت الشعوذة والتبرك بالأضرحة.

3- شيوع الجهل في المجتمع الجزائري: كانت الأمية تجاوز ثمانين في المائة في أوساط الجزائريين لدى فئة الذكور، وقد تجاوز تسعين في المائة لدى الإناث، ولذلك نجد الأستاذ محمد إبراهيم بن أحمد الكتاني الذي كان شديد الإعجاب بالحركة الإصلاحية في الجزائر يحدث طلابه بجامعة الرباط عن زيارته عام 1935م قائلا: "شاهدت من تعاسة المسلمين ودينهم ولغتهم ما لم أكن أتصور أن الحالة وصلت إلى معشاره: جهل باللغة العربية فظيع، وطمس لمعالم الدين شنيع..."³.

4- ركود الحياة الفكرية والثقافية: إذ عمل الاحتلال الفرنسي على شل كل نشاط وضم مؤسسات الأوقاف مثل المساجد إلى أملاك الدولة ليحد من انتشار العلم، وشجع فتح الحانات، لذا قال البشير الإبراهيمي: "جاء الاستعمار الفرنسي إلى هذا الوطن كما تجيء الأمراض الوافدة تحمل الموت وأسباب الموت... وعبت بحرمة المعابد وحارب الإيمان بالإلحاد و الفضائل بحماية الرذائل، والتعليم بإفشاء الأمية والبيان العربي بهذه البلبلة التي لا يستقيم معها تعبير و لا تفكير"⁴.

5- تداعيات الحرب العالمية الأولى: أظهرت هذه الحرب آثار على زعماء الطرقية، فظهرت نواياهم و مزاعمهم، وتراجعت قيمة المقدسات الوهابية في نظر كثير من الناس، ومما أعان على نمو هذا الأثر في النفوس، تطور زعماء التخريف والتدجيل والانكباب على المال والملذات والمزاحمة على الوظائف والنياشين بعد أن كانوا سلفهم القريب يتظاهرون بالبعد عن هذه المواقف⁵.

¹ - خير الدين محمد، مذكرات، المؤسسة الوطنية للكتاب-ج 2-، الجزائر، ص 68.

² - عباس محمد، البشير الإبراهيمي أدبيا، ديوان المطبوعات الجامعية، المطبعة الجهوية، وهران، الجزائر، 1984م، ص-19.

³ - بن المنتصر علي الكتاني، خالد بن برايم الكتاني، العلامة محمد إبراهيم بن أحمد الكتاني، حياة علم وجهاد (1325-1411هـ)، مطبعة النجاح الحديثة، جامعة ميتشيجان، 1992م، 330 وما قبلها.

⁴ - خرفي صالح، المدخل إلى الأدب الجزائري الحديث، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983م، ص-20.

⁵ - البشير الإبراهيمي محمد، سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، قسنطينة، 1935م، ص-41.

6-الاستعداد الفطري للشعب الجزائري: أبدى الشعب نضجا وقابلية للتجاوب ومحاولة تغيير أوضاعه السائدة ، فألفت شرائح المجتمع بالعلماء لتنتهل من دروس الوعظ والإرشاد والتزود بمختلف المعارف ، لأنه كان في حاجة لمن يقوم بتتويره وتعليمه ،و يقوده إلى الصمود أمام سياسة الاحتلال ومشاريعه،لذلك كانت الحاجة ملحة لظهور بعض المصلحين السلفيين من الجيل الأول،منهم صالح بن مهنة¹ وعبدالقادر المجاوي وعبد الحليم بن سماية² و محمد بن خوجة³،وهؤلاء وغيرهم من...ظهروا بفكرة إصلاحية محدودة ولكنها على كل حال محمودة.. " ⁴.

7-الثورة التعليمية الباديسية : قدم رواد الجمعية دروس وتوجيهات للنشء الجديد بغية إعدادهم لدور رسالي ولواجبات مختلفة تنتظرهم، و تفرد بن باديس ب : " دروسه الحية والتربية الصحيحة لتلاميذه...فما كادت تتقضي مدة حتى كان الفوج الأول من تلاميذه...بعقول نيرة...وأقلام كاتبة..."⁵،وكانت هذه هذه البذور الطيبة ثورة ضد الأمية والجهل والسياسة الاستدمارية التي همشت التعليم والعلم ،وفرضت القيود والعقبات ،حتى لا يكون للتعليم الأهلي أي فرصة للانتشار و التفوق .

8- ظهور النخبة العلمية والدينية : ارتبطت الإرهاصات الأولى للحركة الإصلاحية في الجزائر ببذور الفكر التي زرعها الرعيل الأول من الرواد المصلحين و كان في مقدمتهم: الشيخ صالح بن مهنا لذي تعالى بدأ دعوته منذ 1898م للنهضة واليقظة بإقليم وأهل قسنطينة و ربوع الجزائر، وقام بهبة مباركة ضد الفكر الخرافي ، قبله شيخه: الشيخ حمدان بن لونيبي وعبد القادر المجاوي،و قبلهما المفتي الحنفي، الشيخ محمد بن محمود ابن العنابي، الذي ألف كتابا سنة 1826م بعنوان "السعي المحمود في تنظيم الجنود" حيث رغب من خلاله نهضة الدولة العثمانية و إيالاتها⁶،يضاف إلى هؤلاء : الشيخ عبد الحليم بن سماية، والشيخ محمد بن مصطفى ابن الخوجة، وكانا على اتصال بالشيخ محمد عبده، حتى زيارته الجزائر في سنة 1903 و استقبله الشيخ عبد الحليم بن سماية⁷. أما نواة الجمعية الأولى للعمل المنظم من أسماء منها : " عبد الحميد ابن باديس العائد من تونس سنة 1913،ومولود الحافظي

¹ - بن رمضان محمد شاوش و بن حمدان الغوثي، إرشاد الحائر إلى آثار أدباء الجزائر، ط1، مطبعة داود بريكسي،الجزائر، 2001، ص-505.

² - نفسه، ص509. ينظر إلى: عمارة حياة ،المرجع السابق، ص31 ومابدها.

³ - نفسه، ص513

⁴ -جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، سحل المؤتمر، المصدر السابق، ص-41 .

⁵ - نفسه.

⁶ - بن نبي مالك، شروط النهضة، تر: عمر مسقاوي وعبد الصبور شاهين، دار الفكر، 1986، ص 23.

⁷ - سلطاني أحمد، العبر للدراسات التاريخية والأثرية، المجلد الأول، العدد 02، سبتمبر 2018، ص 293.

المتخرج من جامعة الأزهر، وعاد إلى الجزائر في سنة 1918، وقد دعا في مقال له بمجلة الشهاب في سنة 1926 إلى تأسيس حزب ديني¹، و الطيب العقبي العائد من الحجاز في سنة 1920، حيث كان يدير "تحرير جريدة "القبلة" و"المطبعة الأميرية" في مكة، خلفا للعلامة محب الدين الخطيب. والعربي التبسي، العائد من جامعة الأزهر في سنة 1927، إبراهيم أبو اليقضان، وهو من أعيان وعلماء الإباضية في وادي ميزاب بالجنوب الجزائري ومحمد البشير الإبراهيمي العائد من دمشق في سنة 1920، التي هاجر إليها من الحجاز في سنة 1916 بسبب اضطرابات كانت هناك، وأبو يعلى الزواوي العائد من دمشق في سنة 1920، وانطلق هؤلاء الرواد في إنشاء الجرائد والمدارس لتعليم النشء، وحث الشعب على بناء المساجد والتدريس فيها، وكتابة المقالات في الجرائد والمجلات مثل جريدة النجاح، والمنتقد والشهاب اللتان أسسهما ابن باديس، والإصلاح التي أنشأها الطيب العقبي. واعتقد أن هناك شخصيات جزائرية أخرى لا نعرفها، تعرضت لآلة القمع الاستعمارية فكنتم أنفاسها وهمشت دورها في حركة الإصلاح حين كانت البذور الأولى و الصورة التفاعلية لمطابقة لما وقع في المشرق العربي، على يد السيد جمال الدين الأفغاني والشيخ محمد عبده، ومدرسة المنار للشيخ رشيد رضا.

وفي سنة 1913 سافر عبد الحميد ابن باديس إلى المشرق، و بعد مشاور مع الكثير ممن رأهم من علماء الأمة، ومنهم شيخه حمدان بلونيسي، أشير عليه بالعودة إلى بلاده، وقد تعرف رفيق دربه بعد ذلك محمد البشير الإبراهيمي الذي تداول معه مطولا مسألة النهوض بالجزائر، وعاد عبد الحميد ابن باديس إلى الجزائر، وشرع في التدريس بالمساجد ومنها على وجه الخصوص "الجامع الأخضر" وتعليم الناس بها، والكتابة في الصحف، ولم يمر عليه إلا عشر سنوات حتى أصدر هو نفسه مجلة بعنوان "المنتقد"، وهي رد مباشر على الطرق الصوفية المنحرفة التي كانت تتبنى مقولة "اعتقد ولا تنتقد"، وشعارها "الحق فوق كل أحد والوطن قبل كل شيء"، ثم بعد تعطيل المنتقد أنشأ الشيخ ابن باديس مجلة "الشهاب" التي استمرت إلى أن توفي في سنة 1940م، كانت النخبة طائفة جزائرية متنوعة عاش بعضها في المشرق و المغرب العربيين، خاصة في الحجاز والشام، كان من أبرزهم: محمد البشير الإبراهيمي، والشيخ العقبي وثلة أخرى من العلماء عاشوا أو مكثوا في البلاد العربية والإسلامية فترات غير قصيرة، يضاف لهم الفئة المتصوفة، التي اشدت تأثيرها وتنامت طرقها ودورها في الجزائر خاصة في بدايتها، قبل أن يتحول بعضها لسياسة المهادنة، وقد ازداد نشاطها، وتكاثر طرائقها حتى فاقت العشر، فاكتملت جميع المدن والقرى و

¹ - مركز اليحوث والدراسات لمجلة البيان، التجربة الدعوية للشيخ عبد الحميد ابن باديس، 1435هـ، 2022-2023م، ص 38.

البوادي في الجزائر، وأمست تصول وتجول، وانتشر الفكر الصوفي بين الناس وذاعت سير الشيوخ وكراماتهم؛ وميل أهل التصوف إلى الغرق في الروحيات وأمور الغيب، والتعلق بمشاهد البركة والكرامات.

المطلب الثاني: المؤثرات الخارجية (الوافدة):

1- البعثات العلمية: استفاد عدد من الشباب الجزائري من هذا الامتياز وتمكنوا بعد إكمالهم التعليم في المعاهد والمدارس والمساجد وغيرها داخل الوطن، توجهوا إلى مراكز إشعاع علمي خارجه مثل جامع الزيتونة¹ والأزهر، فساهم ذلك في بناء علمي محكم لديهم²، وبعد أن نهلوا من هذه المنابع الثقافية عادت تلك القوافل المهاجرة وبدأت معها ثمار جهودهم تتجسد في أرض الواقع الذي حاول الاحتلال الفرنسي فرضه، فتخرج على يدهم جيل من جنود القلم ورواد الفكر الإصلاحي، وعليه فقد لعبت الأدفاق الهجرية القادمة من المشرق عامة و بلاد الحجاز خاصة دورا كبيرا في تنشيط حركة الإصلاح والنهضة في الجزائر، إذ بعودة طائفة طلبة العلم والمعرفة عاد معها الهدي المحمدي، والأفكار التغييرية، ولا ريب أن البيئة المهجريّة كانت المهد الأول لفكرة إنشاء جمعية العلماء، إثر لقاء جمع رائدي الفكر والعلم الشيوخ ابن باديس والبشير الإبراهيمي في البقاع المقدسة (المدينة المنورة 1913-1928م)³، وهو ما ترتب عنه تأسيس تلك الهيئة التنظيمية الرائدة و بدأ جهودها للنهوض بالامة.

2- الحركات الصلاحية والدينية في العالم الإسلامي : تعد حركات الإصلاح في العالم الإسلامي، المهد الأول للنهضة، بعد التطورات الاجتماعية والثقافية والسياسية التي عرفها العالم الإسلامي في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، وهي فترة خطابات " التتوير الإسلامي الحديث"؛ والتي قادها جمال الدين الأفغاني، و محمد بن عبد الوهاب بإصلاح العقيدة، والعقول والنفوس و الحكومة وربط ذلك بالدين⁴. وقد أثرت الحركة الوهابية في فكر رجالات الجمعية عن طريق المقالات⁵. والصحف المشرقية كصحيفة " العروة الوثقى"⁶ و رحلاتهم العلمية و مناسك الحج.

لقد أدرك العالم العربي و الإسلامي في نهاية القرن "التاسع عشر" وبداية القرن "العشرين"، حركات

¹ -جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، ص-42.

² - عمارة حياة، المرجع السابق، ص31-35

³ - جمعية العلماء، سجل مؤتمر الجمعية، المصدر السابق، ص42.

⁴ - أمين أحمد، زعماء الإصلاح في العصر الحديث، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط3، ص-59.

⁵ - بن سميحة محمد، أسس مشروع النهضة عند الإمام عبد الحميد بن باديس، ص 431.

⁶ - الهلالي، المرجع السابق، ص-43 وما بعدها.

إصلاحية قادها جمال الدين الأفغاني والذي ركز على إصلاح العقول والنفوس ثم إصلاح الحكومة وربط ذلك بمعامل الدين، أما محمد بن عبد الوهاب فدعا لإصلاح العقيدة ، في حين اتجه مدحت باشا لإصلاح الحكومة والإدارة¹. و رأى " أن خلاص الأمة من محنتها واستعادتها عزتها وكرامتها إنما يكون برجوعها إلى قواعد دينها والأخذ بأحكامه...بتطهير القلوب وتهذيب الأخلاق وإيقاد نيران الغيرة ، وجمع الكلمة..² ، وأكد جمال الدين الأفغاني قائلا : " .. إصلاح أمة ..."³، بفهم الدين فهما صحيحا ، وأن على الأمة أن تعيش وفق تعاليمه ، فضعف الأمة الإسلامية يعود بالأساس إلى الجهل بروح أو جوهر هذا الدين ، أما محمد بن عبد الوهاب فركّز بشبه الجزيرة العربية على الإصلاح في تصحيح العقيدة ومحاربة ما شابها من معتقدات وممارسات دخيلة أي العودة إلى صفاء العقيدة الإسلامية و هي الفكرة ذاتها التي آمنت بها جمعية العلماء المسلمين⁴ ، مما يبين تأثير الحركة الإصلاحية الجزائرية بمثلثاتها في المشرق العربي وروادها مثل جمال الدين الأفغان ومحمد عبده⁵.

3- الإصدارات الفكرية والدينية (المجلات والجرائد) : إن قراءة ما تكتبه الجرائد والمجلات مثل " المنار والعروة الوثقى" رغم قلة قرائنها في ذلك العهد ، وإطلاع على كتب المصلحين القيمة كان له كبير الأثر، مثل كتب ابن تيمية وابن القيم و الشوكاني⁶، وشكّلت هذه المصادر المناهل الرئيسية التي استقت منها الجمعية منطلقاتها الفكرية ، كما تجلّى تأثير الحركة الوهابية في فكر الجمعية من خلال عدد من المقالات التي نشرها روادها، حيث زكوا مساعي الدولة السعودية التي تبنت الفكر الوهابي⁷.

4- اللقاءات والزيارات المتبادلة للعلماء والمصلحين: كان التواصل و المتابعة بين العلماء وطلاب العلم الجزائريين وبينهم وبين أترياهم بالمشرق الإسلامي قناة خصبة للتأثير والتأثر ، ولنقل ما تعلموه إلى الجزائر بغية النهضة والإصلاح، وكانت فترات الحج بالحجاز إحدى الفرص المواتية لمجالسة العلماء والمصلحين والأخذ منهم بأسباب العلم والتتوير وكان لذلك أثره القوي في حركة الإصلاح والنهضة ، كما كان للرحلات و الزيارات العلمية المتبادلة من وإلى المشرق أو المغرب أثرهما البالغ، على غرار زيارة محمد عبده الجزائر ستة 1903م.

¹ - أمين أحمد ، زعماء الإصلاح في العصر الحديث، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة، ط3، ص 59.

² - بن سميحة محمد ، أسس مشروع النهضة عند الإمام عبد الحميد بن باديس، المرجع السابق، ص 87.

³ - نفسه.

⁴ - بن سميحة محمد ، المرجع السابق، ص-85.

⁵ - إبراهيمي محمد البشير، سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، قسنطينة، 1935 م، ص 40.

⁶ - نفسه

⁷ - إبراهيمي محمد البشير، المصدر السابق، ص 35

المبحث الثاني: قضايا واهتمامات الجمعية

تأسست جمعية العلماء في الثلاثاء 05 ماي 1931 في النادي الترقى بالعاصمة وكانت فكرتها في أذهان أحمد توفيق المدني وعمر إسماعيل ومحمد عباسة و قد وعد عمر إسماعيل بتقديمه هدية ألف فرنك لمن يؤسسها¹. أما الإبراهيمي فيذكر بأنّ الفكرة كانت خلال لقائه با بن باديس في المدينة المنورة سنة 1913². ثم الإعلان عن تأسيس الجمعية في شهر ماي سنة 1931، وتجلت اهتمامات وغايات الجمعية في برنامجها وسجلها و في هذا قال بن باديس : "إننا نريد نهضة شعبية قوية ، تتجلى شخصية الشعب الجزائري ، وتكشف مجد الماضي بما ينير له طريق الحياة...نريد انقلابا جزائريا يرتكز على إعداد النشء الصالح تتمثل فيه عنصرية الجدود فينهض نهضة إسلامية عربية"³. وكتب شارل روبر أجرون: عند تأسيس جمعية العلماء"...ضمت ثلاث عشر عالما من بينهم مبارك الملي وتوفيق المدني وهما أول من ألف في التاريخ الوطني الجزائري باللغة العربية"⁴. أما محفوظ قداش فقال "أنّه من واجبنا أن نقول منذ الآن بأن على الجمعية أن تكون جمعية ذات توجه روعي فقط موجه لإخراج الشعب الجزائري المسلم من حالة الانحطاط الثقافي والأخلاقي ، والارتقاء به إلى أعلى درجات العلم والأخلاق في الإطار الذهني لعقيدته وعلى هدي نبيه ... "⁵. لذا فإنّ الجمعية أخذت على عاتقها مسؤولية النهضة ومحاربة أصحاب الزوايا والطرق المتعاونين مع الاحتلال وتكوين نخبة مثقفة بثقافة عربية⁶. ومن بين أهم القضايا التي شغلت فكر وجهد الجمعية طيلة تلك السنوات (1931-1956) :

¹ - المدني أحمد توفيق : مذكرات كفاح الحياة ج2-ط2 المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر،ص 172-174 .

² - البشير الإبراهيمي، في قلب المعركة ، دار الأمة،الجزائر ، 2007، ص 230 .

³ - طهاري محمد ،الحركة الإصلاحية في الفكر الإسلامي المعاصر،ج3 ،دار الأمة،الجزائر،2010،ص-13.

⁴ - ageron charl robert ; histoire de l'algerie contemporaine 1830-1966 que sais je N° 400 édition presses universitaire de France ,paris , 1966 ,P 88.

⁵ - قداش محفوظ : تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية(1919- 1939)،ترجمة محمد بن باز،ج1 ، دار الأمة،الجزائر، 2008 ص 475 .

⁶ - الورثاني الفضيل ،الجزائر الثائرة ،ط3 ،دار الهدى ،الجزائر،ص 153 .

المطلب الأول: محليا وعربيا

أولاً: محليا

- 1- محاربة البدع والخرافات والبطالة والإسراف وزرع الأخلاق الفاضلة¹. عن طريق الخطب والمحاضرات ودروس الوعظ والإرشاد في المساجد والأندية والبدء في تعليم العربي للصغار.
- 2- حث المتخرجين الجزائريين من جامع الزيتونة لتعليم أبناء الشعب، ومطالبة حكومة الاحتلال بتسليم أوقاف الإسلام المحتجزة.
- 3- شحذ الهمم وغرس الروح الوطنية والرغبة في الحرية والحفاظ على مقومات الشخصية الوطنية المتمثلة في بعث اللغة العربية². الدين الإسلامي³
- 4- المقاومة الثقافية ضد سياسة التجهيل والتغريب الفرنسيين ومحاربة القوانين الفرنسية مثل التجنيد الإجباري والتجنيس⁴.
- 5- رفض تدخل إدارة الاحتلال في شؤون الدين الإسلامي وضمها للأوقاف وتوجيه التصوف والشعائر والقضاء واللغة العربية⁵.
- 6- محاربة أنصار الاحتلال والبدع والضلالات الدينية التي استغلها الاستعمار بعباءة الطرق الصوفية المنجرفة⁶. ولقد لخص الإبراهيمي في مقالا ته بجريدة عيون البصائر موقفه من الاستعمار وبين مبادئ وأهداف الجمعية قائلا: " يا حضرة الاستعمار إن جمعية العلماء تعمل للإسلام بإصلاح عقائده وتفهم حقائقه وإحياء آدابه التاريخية وتطالبك بتسليم مساجده وأوقافه إلى أهلها ، وتطالبك باستقلال قضاءه وتسمي عدوانك على الإسلام ولسانه ومعابده وعدوانا بصريح اللفظ ، وتطالبك بحرية التعليم العربي ... وتعمل لتوحيد كلمة المسلمين في الدنيا والدين ،... وتمكين أخوة الإسلام العامة بين المسلمين كلهم وتذكر المسلمون الذين يبلغهم صوتها بحقائق دينهم وسير أعلامهم وأمجاد تاريخهم فإذا كانت هذه الأعمال

¹ - عامرة تركي رابح ، جمعية العلماء المسلمين التاريخية (1931 - 1956) ورؤساءها الثلاثة، ط1 ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2004 ، ص 443.

² - العسلي بسام ، عبد الحميد ابن باديس وبناء القاعدة الثورية الجزائرية، ط3 ، دار النفائس، بيروت، 1986، ص 135.

³ - الإبراهيمي محمد البشير ، في قلب المعركة - دار الأمة ، الجزائر، 2007 ، ص 35-36 .

⁴ - طهاري محمد، المرجع السابق، ص 13 - 14.

⁵ - الإبراهيمي محمد البشير ، عيون البصائر، ج2 ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، بدون تاريخ، ص 42-43.

⁶ - لونيسي رابح وآخرون ، تاريخ الجزائر المعاصر 1830 - 1989 ، ج2 دار المعرفة ، 2010 ، ص- 95 .

تعد في فهمك ونظرك سياسية فنحن سياسيون في العلنية لا في السر ... ولتعلم آخر ما تعلم أن زمننا كنت تسلط فيه المسلم على المسلم ليقنته في سبيلك قد انقضى وأنه لا يعود. ..¹ **ثانيا: دوليا:**

- 1- القضية الفلسطينية:** تعتبر هذه القضية من أبرز اهتمامات "جمعية العلماء وفي مقدمة روادها الشيخ ابن باديس الذي أعطاه أولوية في خطبه وحثه لنصرتها ودعمها.
- 2- الوحدة المغربية:** تمثل وحدة المغرب العربي من قضايا الأساسية و الهوم المشتركة لرواد الجمعية تمهيدا لوحدة الأمة ،وهي الطريق إلى الحرية والاستقلال والتخلص من هيمنة الاستعمار ونفوذ في المنطقة. والدعوة لها ليست نزعة انفصالية أو إقليمية أو إلى استحواد بلد على آخر، والفكرة مرحلة لوحدة الأمة العربية والإسلامية وقد تفاعل الشعراء الجزائريين مع هذه الفكرة ، أمثال: السعيد وسحنون وضباشة و السائحي وعبد القادر وزكرياء، وشغلته هذه القضية لسنوات طويلة. وتحدث الشاعر مفدي زكرياء عن العلاقة التاريخية بالمغرب الأقصى وعن الصلة الشعورية بين البلدان العربية. ودعا الشاعر سحنون قادة المغرب العربي، إلى بناء وحدته على أسس متينة من الحب والتعاون.
- 3- التضامن مع حركات التحرر العربي:** تجاوب رواد الإصلاح مع قضايا الأمة الإسلامية و الأحداث العربية قبل حلّ الجمعية وبعدها(1956) وانعكس صداها في انتفاضة الشعب المصري لإلغاء معاهدة 1936 ورفض الحماية وإجلاء القوات البريطانية وصموده لرد العدوان الثلاثي على مصر العام 1956 والعدوان الفرنسي على "بنزرت" التونسية عام 1961، وإعلان استقلال تونس والمغرب الأقصى وليبيا وكذلك الثورة العراقية 1958.²
- 4- دعم التحرر في إفريقيا :** شكلت إفريقيا أحد المحاور المهمة في نثر و شعر رواد الجمعية وتلاميذها، لوقوع أقطار المغرب العربي في القارة ولصلتها الجغرافية والتاريخية بها، كما انها تعرضت لحملات الاحتلال ويطالعا الشعر الجزائري بنماذج فيه.

المطلب الثاني: إستراتيجية الاحتلال الفرنسي

سعى الاحتلال منذ الوهلة الأولى إلى تحطيم الكيان الجزائري والقضاء على مقومات الأمة من إسلام وعروبة ولغة وسلك كل السبل و الطرق لأجل الوصول إلى أهدافه مثل الرباعية السياسة المعروفة بـ:

¹ - فوزيل عبد القادر ، رمضان محمد الصالح، إمام الجزائر عبد الحميد بن باديس، ط3 ، دار الأمة، الجزائر، 1989 ،ص- 27.

² - نفسه. .

التنصير، الفرنسية، التجنيس، الاندماج "وقد واجهت جمعية العلماء بنوع من التحدي لفرنسا وسياستها وتمظهراتها فيما يلي:

أ- **التنصير:** لقد قاومت فرنسا بالاعتداء كل مقدسات الإسلامية (الأوقاف) مثل المساجد والزوايا والمدارس العربية والمعاهد الدينية الإسلامية رغم ما نصّت عليه الاتفاقية عشية غزو الجزائر سنة 1830م، بعدم الاقتراب والمساس بالمقدسات الإسلامية، لكنّها نكثت لعهدا واستولت على معظم المساجد في عاصمة البلاد و المدن الجزائرية الأخرى، وحوّلتها إلى كنائس وكاتدرائيات للمسيحيين مثل جامع كنتاوة و البعض هدمته و الآخر حولته إلى ثكنات عسكرية لجيوشها أو إسطبيلات لحيواناتها.

ب- **سياسة الفرنسية:** هي إستراتيجية اتبعتها إدارة الاحتلال وتتضمن الفرنسية الكاملة للمحيط الاجتماعي والاداري والثقافي ومسّ ذلك محو واستبدال أو تغيير أسماء الشوارع والأحياء والمدن، ومؤسسات المنظومة التعليمية، وبعد أن استولت على المدارس و المعاهدة و الزوايا و المساجد، حوّلت لغة التعليم من العربية إلى فرنسية.

ت- **التجنيد الإجباري:** اعتمدت إدارة الاحتلال الفرنسي في كل حروبها مثل الحربين العالميتين (1-2) وحرب الهند الصينية على التجنيد¹ عنوة زهرة شباب الأمة الجزائرية وزجت بهم في حروب ليسو طرف فيها، وكانت النتيجة سقوط الكثير منهم قتلى وجرحى تحت راية مسيحية.

ث- **التجنيس:** حاولت فرنسا الاحتلال دفع الجزائريين إلى التجنس بالجنسية الفرنسية، ولكن على من توفرت فيهم شروط ومواصفات، هي في الغالب تعجيزية ولعلّ أخطرها: وجوب المجندين على التنازل عن أحوالهم الشخصية كمسلمين²، حتى يحصلوا على الجنسية الفرنسية ويتمتعوا ببعض الحقوق المدنية والسياسية، وهو أمر مزعج وغير مقبول حتى للذين رأوا فيه الطريق الأمثل لمساواتهم مع المستوطنين.

ج- **الإدماج:** اعتمدت السياسة الفرنسية منذ بداية احتلال الجزائر إلى إدماج والحاق الجزائر بفرنسا، وغرس ثقافة غربية في شعبها، فرنسته وتنصيره. وبمرور الزمن ظهرت بين الجزائريين فئة تربت في مدارس الاستعمار، وتدعو إلى التجنس بالجنسية الفرنسية، والتخلي عن أحكام الشريعة الإسلامية فيما يتعلق بالأحوال الشخصية، بغية الحصول على بعض الحقوق السياسية وهو ما عرف في أدبيات الحركة الوطنية الجزائرية بالتيار الإدماجي، وقد تصدت الجمعية لهذا التيار وحارته في الخطب العامة، والمحاضرات وفي الصحف... واستكمالا لمشروع فرنسا الاستدماري، سعت فرنسا بشتى الوسائل والطرق

¹ -muchielli Alex; l'edentité, puf 4eme edition, paris 1986, p87.

² -addi - l'houari, l'impasse du populise, l'algerie collectivité politique et état en construction, enal, alger 1990, p-49.

لإدماج الجزائر أمة وأرضا بفرنسا، ما يعني تحقيق أحد غاياتها الإستراتيجية والمائلة في التخلص من العروبة و الإسلام، وتحقيق الارتباط النهائي بفرنسا، وتصبح الجزائر جزء من التراب الفرنسي. وقد شجعها في التمادي في هذه السياسة وقوف بعض الجزائريين ذوي النفوس الضعيفة، وهم حفنة من المثقفين ثقافة فرنسية وقفوا إلى صفها وتكروا لقيم الأمة الجزائرية المستمدة من الإسلام، ولترسيم موقفهم عقدوا اجتماعا في شهر جوان 1930 بالجزائر العاصمة، وأعلنوا تمردهم على الماضي وانسلخوا منه وتكروا للقومية الجزائرية وأصالتها وجذورها، وقد جاء على لسان العراب الأول للفكر الإدماجي فرحات عباس¹: "لو أنني اكتشفت القومية الجزائرية لكنت من القوميين ولما خجلت من ذلك، فالرجال الذين ماتوا من أجل مثلهم الوطنية مكرمون محترمون، ولا تساوي حياتي أكثر من حياتهم، ومع ذلك فلن أموت من أجل وطن جزائري لأن ذلك الوطن ليس له حدود. ولقد سألت التاريخ وسألت الأحياء والأموات وزرت المقابر فلم يحدثني أحد عنه ولا يمكن البناء على الهواء. ولقد استبعدنا جميعنا هذه الأوهام لنربط نهائيا مستقبلنا بما حققته فرنسا لهذه البلاد"². والحقيقة أنّ هذا الموقف لا يستبعد من دعاة الإدماج³، فهم نشأوا في بيئة ونهلوا من ثقافة فرنسية وغربية وانبهارهم بالمدينة الغربية يبرر هذه الطروحات. ضف له أنّ هؤلاء تتلمذوا على يد مستشرقين أملمهم الوحيد طمس معالم التاريخ القومي للشعوب العربية الإسلامية والتنكر لكل ما أبدعوه من حضارة وتقدم، وهو ما يفسر قلة تحمس هؤلاء وشعورهم بالوطنية الحقّة.

ج- تكوين جبهة مناهضة لجمعية العلماء: شكلت الجمعية مصدر خطر على الاحتلال الفرنسي وأهدافه ولهذا عملت إدارة الاحتلال على التضييق عليها، وتبديد جهودها وتهميش دورها والقضاء على تأثيرها و مكانتها لدى المجتمع الجزائري، وعمد الاحتلال على تشجيع بعض المنشقين عن الجمعية وبعض المضللين وذوي النفوس الضعيفة والمصالح الضيقة مثل العليويون (الشيخ ابن عليوة) لسوء أدبهم مع النبي (ص) وابتعادهم عن الإسلام، وقرارهم بالحق الأذى والضرر بالجمعية ورئيسها بن باديس⁴. وتعاونهم مع

¹ - فرحات عباس: ولد بالطاهير عام 1899 في قبيلة بني عافر الجبلية وهو من عائلة فلاحية كثيرة الأولاد تتكون من 12 فردا، درس الابتدائي بمدينة جيجل وواصل تعليمه الثانوي بقسنطينة والجامعي في جامعة الجزائر، وتخرج منها صيدليا، وفي عام 1926 انتخب رئيسا لجمعية طلبة المسلمين الجزائريين، ينظر إلى: بوحوش عمار، التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية النهاية، ص 246-247.

² - فرحات عباس، الشاب الجزائري، ترجمة أحمد منور، وزارة الثقافة، الجزائر عاصمة الثقافة العربية، 2007، ص-99.

³ - مجموعة من الباحثين، الإيديولوجيات السياسية للحركة الوطنية من خلال ثلاثة وثائق جزائرية (1926، 1953)، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، ص-51.

⁴ - فوزيل عبد القادر، رمضان محمد الصالح، إمام الجزائر عبد الحميد ابن باديس، ط3، دار الأمة الجزائر، 1998، ص-39.

مصالح الاحتلال وخدمة مصالحه¹، لذلك سمح لهم الاحتلال بإنشاء جرائد و جمعيات بغية محاربة جمعية العلماء، فأنشأ الطرقيون "جمعية علماء السنة" عام 1932، التي أضرت بالوحدة الوطنية وابتعدت عن الاقتداء بالسلف الصالح و زرعت الفتنة بين المسلمين². حاربت الجمعية وقفوا إلى جانب الاحتلال الذي استهدف القضاء على الهوية العربية للأمة ومعتقداتها³ وثقافة الإسلامية الأصلية⁴.

ثانيا: ردود فعل السياسية لجمعية العلماء اتجاه إستراتيجية الاحتلال الفرنسي:

لم تكن الجمعية تنظيما أو حزبا سياسيا، لكن رغبة في الذود عن هوية الأمة ومصلحتها وما يتعارض ودينها، ووضعها وجها لوجه في محاربة السياسة الاستعمارية وقوانينها الاعتبارية، التي لا تراعي أحوال المسلمين، وعليه فحاربتها وأقحمتها في معترك السياسة ومعاداة الاحتلال الفرنسي وكان لها عدة مواقف في الجبهات التالية:

1-التنصير: حاربت الجمعية التنصير وحاصرت دور الكنيسة في الجزائر حتى لا تحول المساجد إلى كنائس واستطاعت تغيير البنية الثقافية للمجتمع الجزائري بنشر التعليم العربي و تطوير اللغة العربية و رسخت الانتماء الحضاري في نفوس الأمة و انتزعت الزعامة العلمية و الدينية⁵ فالتف الجزائريون حولها⁶. وأكد ابن باديس حول إصلاح المسلم قائلا: "لن يصلح المسلمون حتى يصلح علماءهم فإنما العلماء من الأمة بمثابة القلب، إذا صلح صلح الجسد كله و إذا فسد فسد الجسد كله، و صلاحهم إنما هو بفقههم الإسلام و عملهم به..."⁷. وأنّ بناء وتغيير المجتمع يكون بالعلم وربط العلم بالأخلاق، وأنّ تعليم الرجل يقترن بتعليم المرأة، فضلا عن الاهتمام بالأسرة⁸.

¹ - فوزيل عبد القادر، رمضان محمد الصالح، المرجع السابق، ص39.

² - بلخير عمر، الخطاب الصحافي الجزائري المكتوب، دار الحكمة، الجزائر، 2009، ص 36-37.

³ - بن مزور عمار، عبد الحميد بن باديس ومنهجه في الدعوة والإصلاح، دارالأمل للطباعة والنشر، تيزي وزو، الجزائر، 2010، ص-68.

⁴ - ولد خليفة محمد العربي، المحنة الكبرى، مدخل لدراسة توصيفية عن معاناة شعبنا ومقاومته البطولية نصوص مختارة، دار الأمل للطباعة و النشر الجزائر، 1999، ص 285.

⁵ - بن مزور عمار، عبد الحميد بن باديس ومنهجه في الدعوة والإصلاح، المرجع السابق، ص154.

⁶ - الحسني محمد الهادي، أشعة الشروق، دارالأمل للطباعة والنشر، الجزائر 2010، ص-389.

⁷ - شيان عبد الرحمان، مقدمة مجلة الشهاب أنشأها الإمام عبد الحميد ابن باديس، دار المعرفة، الجزائر، 2009، ص 17-18.

⁸ - خرشي جمال، الاستعمار وسياسة الاستيعاب في الجزائر، (1830-1962)، ترجمة: عزيزي عبد السلام، دارالقصة للنشر الجزائر، 2009، ص 426. - معاشو خادم، صحافة التيار الاصلاح في الجزائر (1931-1954)، كلية الاداب والعلوم الانسانية، جامعة سعيدة، 2013، ص-16 وما بعدها.

2- سياسة الفرنسية: حارب الجمعية بواسطة صحفها وكان ابن باديس من الذين تصدوا لدعاة الفرنسية، وذلك عن طريق الدفاع عن مقومات الأمة و الشخصية الجزائرية المتكونة من العقيدة و اللغة العربية و الثقافة الإسلامية فقال: "إن الأمة التي لا تحترم مقوماتها من جنسها و لغتها و دينها لا تعد أمة بين الأمم، و لا ينظر إلا بعين الاحتقار مع القضاء عليها في ميادين الحياة بالتقهقر و الانحدار"¹ و كتب أحمد توفيق المدني مقالاً بعنوان "نحن بين الموت و الحياة" في جريدة الشهاب يستنكر فيه الإدماج² لذا فالشق الأساسي هو المحرر السياسي في اهتمامات الجمعية³ والذي تمثل جزء منه في محاربة أطروحات الاندماجين⁴. وقال أيضا في الرد على مقولة الجزائر فرنسية: "إن هذه الأمة الجزائرية الإسلامية ليست هي فرنسا، ولا تريد أن تكون فرنسا، ولا تستطيع أن تكون فرنسا ولو أرادت، بل هي أمة بعيدا عن فرنسا كل البعد، في لغتها وفي أخلاقها وعنصرها، وفي دينها، لا تريد أن تندمج ولها وطن معين هو الوطن الجزائري"⁵.

3- التجنيس: دعت الجمعية لمقاطعة البضائع اليهودية ومحاربة فكرة إعطاء الجنسية الجماعية للجزائريين، وفي جويلية 1935م نشرت "الشهاب" مقالا جاء فيه: "أن خمسة ملايين من المسلمين لن يقبلوا الجنسية الفرنسية ولن يقبلوا الحقوق التي تعطى لهم لا إذا أخذوا الجنسية إنهم يفضلون الموت في فقر وجهل، محروسين من كل شيء عميان، لا يتكلمون فذلك أحسن لهم من العيش بعد التخلي عن هويتهم الإسلامية، إن التتكر للقوانين الإلهية من أجل التمتع في الدنيا، والحصول على الجنسية يعتبران جريمة نكراء..."، وارتكزت سياسة العلماء على المناداة بتحقيق العدالة الاجتماعية بدون التخلي عن الجنسية الجزائرية، وهاجمت محاولة فرنسا تجنيس الجزائريين ومحو الكيان السياسي للجزائر وهاجمت

¹ - بوحوش عمار، التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997، ص 252.

² - عمورة عمار، دادوة نبيل، الجزائر بوابة التاريخ ما قبل التاريخ إلى 1962 إلى 1962، جزائر عامة، دار المعرفة الجزائر، 2009، ص- 309.

³ - حميد عبد القادر، فرحات عباس رجل جمهورية، دارالمعرفة الجزائر، د.ت، ص 52. يمظر: بلحاج صالح، تاريخ الثورة الجزائرية، دار الجزائرية، دار الكتاب الحديث، الجزائر، 2009، ص 26. ينظر:- معاشو خادم، صحافة التيار الاصلاحى في الجزائر (1931-1954)، كلية الاداب والعلوم الانسانية، جامعة سعيدة، 2013، ص 16 و ما بعدها.

⁴ - المدني أحمد توفيق، محاضرات في اللغة و الفكر و التاريخ، القسم الأول، أبطال ورجال، دار البصائر، الجزائر 2008، ص- 11.

⁵ - الصديق محمد الصالح، الإمام الشيخ عبد الحميد بن باديس، من آرائه ومواقفه، دار البعث، قسنطينة، 1983، ص ص 23-24.

ينظر أيضا: مجلة الشهاب، العدد 1، ربيع الثاني 1344هـ/ نوفمبر 1925، ص 295.

في الشهاب المتجنسين واعتبرت التجنيس أمرا غير محمود لدى الجزائريين¹. لقد أصبحت مسألة التجنيس بعد الاحتفالات المئوية عام 1930م، قضية محورية فكان الرأي العام معاديا للتجنس والمتجنسين وأثارت الأمور المتعلقة بهؤلاء الرأي الإسلامي وبيّن "توفيق المدني" مخاطر التجنيس على الشخصية الإسلامية لأنّ طريق التجنيس هو تخلي عن الجنسية واللغة ورفض التاريخ والتقاليد الإسلامية وتبني جنسية العرق المهين مع كل ما يترتب عنه من تغيير في اللغة والأخلاق والذهنية. ولقد أنعت "ابن باديس" أولئك الذين يتخلون عن التشريع الإسلامي بالمرتدين وأكدت جريدة الشهاب في عام 1935 أن: "الخمس ملايين مسلم الجزائريين لا يقبلون بالتجنس ولا بأيّ حق يضع تحت شرط التجنيس فهم يفضلون الموت فقراء محرومين من كل شيء عوضا عن العيش متتكرين لوطنهم". وفي رسالة موجهة إلى العلماء ذلك للتدبير بما يقوم به بروجي فيوليت الذي يسعى إلى ضم 22000 من الجزائريين لأجل ورقة انتخابية ودمجهم في مجتمع آخر فهذا القانون هو آلة تفرقة وشقاق بين الأمة الإسلامية فالعلماء بتصريحهم في مجلة الشهاب أنهم ضد إدماج الشعب الجزائري ولذلك لا بد لهم أن يفصحوا عن رأيهم لما يتمتعون به من تقدير وذلك لكسر الفضيحة وهي الاندماج التي تريد تقسيم الأمة إلى قسمين متناطحين².

ولم تغفل الجمعية عن دور الصحافة الهام ولذلك قامت بإصدار عدة صحف غير أن إدارة الاستعمار كانت تغلقها باستمرار فكانوا وطنيين لأنهم دافعوا عن الهوية الوطنية العربية الإسلامية وحاربوا التجنيس³. وفي سنة 1937 قال في مجلة الشهاب: "من الممكن أن يدوم الإتحاد بين شعبين مختلفين في الجنسية القومية إذا تناصفا وتخالصا مما ارتبطا به من الجنسية والسياسة التي قضت بها الظروف واقتضتها المصلحة المشتركة، فإذا لم يربط بالجنسية السياسية فلا بد لهما من أمرين: إما أن يندمج أضعفهما في أقوامهما بانسلاخه من مقوماته ومميزاته فيندمج من الوجود، أو يبقى الضعيف محافظا على مقوماته ومميزاته فيؤول أمره - ولا بد - إلى الانفصال وبعد فنحن الأمر الجزائرية لنا جميع المقومات والمميزات لجنسيتنا القومية... وأنه من المستحيل إضعافنا فيها فضلا عن إدماجنا أو محونا"⁴. وفي جانفي 1938 أصدر الشيخ ابن باديس فتوى تكفر كل مسلم قبل التجنيس مع تخليه عن أحواله

¹ - طلاس مصطفى ،العسلي بسام،الثورة الجزائرية،ط2،دار الرائد للكتاب،الجزائر،2010،ص 72 .

² - قناش محمد، قداش محفوظ، نجم الشمال الإفريقي 1937-1998 وثائق وشهادات لدراسة تاريخ

الحركة الوطنية، ديوان المطبوعات الجامعية،1984، ص 64-65.

³ - عبد القادر حلوش، سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر، دار الأمة، الجزائر، 2010، ص-270..

⁴ - مجلة الشهاب، العدد 1، ربيع الثاني 1344هـ/نوفمبر 1925، ص ص 326-327.

الشخصية¹، وقال ابن باديس: " ما أكثر ما سئلنا عن هذه المسألة، وطلب منا الجواب في الصحف، ومن السائلين رئيس المتجنسين الأستاذ التركي "الذي لم يجد من يفتنه في تونس" وكانتنا برسالتين، فأدينا الواجب بهذه الفتوى : "بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على محمد وآله : التجنس بجنسية غير إسلامية يقتضي رفض أحكام الشريعة الإسلامية ومن رفض حكما واحداً من أحكام الإسلام عدّ مرتداً عن الإسلام بالإجماع، فالمتجنس مرتد بالإجماع ..".

4-الإدماج: تصدرت جمعية العلماء لدعاة الإدماج وفندت أقوالهم ومزاعمهم بما كانت تنشره الصحف وأثبتت وجود الأمة الجزائرية المسلمة وأن لهذه الأمة تاريخها الحافل بجلال الأعمال، ولها وحدتها الدينية واللغوية، ولها ثقافتها الخاصة. وردا على ذلك قامت جمعية العلماء المسلمين بالتوعية للمحافظة على مقومات الأمة الجزائرية فاهتمت بنشر التعليم العربي الإسلامي على نطاق واسع حيث شملت مدارسها كافة المناطق الجزائرية، وقد بلغت جملة مدارسها عام 1954 أكثر من 150 مدرسة يتردد عليها أكثر من خمسين ألف طفل وبنت ،ويدرسون فيها مبادئ اللغة العربية وآدابها وأصول الدين الإسلامي والتاريخ الجزائري الإسلامي طبق برنامج يجمع بين ضروريات العلم وبين إيجابيات التربية الإسلامية والقومية والوطنية الصحيحة.

وعندما تنامت دعوة الإدماج التي تبناها حفنة من الجزائريين بتشجيع من الاحتلال الفرنسي، تولى عبد الحميد ابن باديس رئيس جمعية العلماء الرد على فرحات عباس في مقال ينشر في الشهاب الصادرة في أبريل 1936 ما يلي: "...أنتم لا تمثلوننا... نحن أيضاً بحثنا في التاريخ وفي الحاضر ووجدنا أن الأمة الجزائرية المسلمة تشكلت ووجدت مثلها مثل كل أمم الأرض"²، كما رد على دعاة الإدماج شعرا وهذه بعض مقتطفاته:

شعب	الجزائر	مسلم	***	والى	العروبة	ينتسب
من	قال	حاد	عن	أصله	***	أو قال مات فقد كذب ³

هذا التوجه الفرنسي الذي استقطب عددا من الجزائريين بإغرائهم بالاندماج في المظاهر المدنية الصناعية والفنية وتحسين ظواهر الحياة الجديدة، والوقت الذي كانت إدارة الاحتلال تحاول غزو فكر المسلمين

¹ - Kaddache Mahfoud, Sari Djilali: l'Algérie dans l'histoire, QPU, Alger, 1989, p59.

² - بوعزيز يحي، موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب، دار الهدى، عين مليلة، 2009، الجزائر، ص-315 .

³ - نفسه، ص ص 314-315، ينظر أيضا: بن مزيان بن شرقي، قصيدة الشاعر الشيخ عبد الحميد ابن باديس، شعب الجزائر مسلم، جامعة وهران 2، منتدى لاغورا، حديث السبت، الحلقة 01، منقولة: 16 أبريل 2020.

الجزائريين ، كان المثقفون الجزائريون بثقافة فرنسية ممن عرفوا بإعجابهم بالحضارة الغربية اندماجا و تجنسا ،كانت الجمعية و من مناصروها في الفكر مجندين لمقاومة هذه الانحرافات المتخلفة.

5-التجنيد: أنّ تجنيد الجزائريين في حروب الاحتلال الفرنسي وتحت راية دولة مسيحية وكاثوليكية وسقوط أبناء الأمة الجزائرية قتلى وبأعداد مهولة، طرح تساؤلا وامتعاضا حول هذه الخسائر البشرية ،فهل تحسب جهادا واستشهادا أم ظلما وموتا بعيدة عن الثواب والجنة وبعيد عن الوطن ومبررات الاستشهاد ؟ ،هذا المأزق الذي وقف فيه بعض المجندين أثار المسلمين الجزائريين عامة ،و جمعية العلماء خاصة،فهي لم تكثف برفض إصدار الفتاوى التي تجيز الوقوف إلى جانب فرنسا في محنها وحروبها المتناثرة ،بل حرّضت الجزائريين لمقاطعة القوانين الفرنسية وفي مقدمتها "قانون التجنيد الإجباري" ، ورفضت التطوع أو التجنيد عنوة إلى جانب فرنسا ،وموقفها الرفض يعبر عن وعي وإدراك لأضرار المترتبة عن التجنيد لجنب الكافر ، والتحذير من مخالفة النصوص الشرعية الإسلامية،لذا فإنّ هذا الموقف المشرف عرض روادها ورجالها للاعتقال والإقامة الجبرية والسجن ، وتجميد نشاط الجمعية وتوقيف أو مصادرة جرائدها ومجلاتها.

6-الطرقية: قامت تلك الجبهة التي أسسها الاحتلال (جمعية علماء السنة" عام 1932) لمناوئة الجمعية وتبديد مكانتها ودورها ،كان رد فعل جمعية العلماء المسلمين الجزائريين على هذه الفئة ،هو السعي إلى نشر الوعي تنوير العقول و إيقاظ الأمة من سباتها ، ودعتها إلى التمسك بالهوية العربية الإسلامية و الدفاع عن أصالتها ومواجهة إيديولوجيات التيار الاندماجي والتيار الشيوعي وإنهاء حالة الاغتراب السياسي و الثقافي للمجتمع،ودأبها على نشر تعاليم الدين الصحيحة و محاربة الآفات الاجتماعية مثل الخمر والسرقة و الأمية والخرافات و الأباطيل¹.

و كانت هاته أهداف الجمعية في المنحى السياسي قد بدأت تتجلى في مواقف خفية أو معلنة² و جاء في مقال بالشهاب "إنّنا الآن في منعطف صعب من تاريخ حياتنا القومية و قد أصبح شعبنا فيما أرى جاداً في اختيار طريقة مثلى ليسير عليها... و الآن و قد فتح طريقان في وجه الجزائر الفتية:

-الطريق الأول : طريق التجنيس و التنازل عن القومية و اللغة و نبذ التاريخ و الدخول في جنسية جديدة و أخلاق جديدة و لغة جديدة و عقلية جديدة.

-الطريق الثاني : فهو طريق المحافظة على الذاتية الجزائرية و الدين و لغته والتقاليد.

¹ - معاشو خادم،صحافة التيار الإصلاحي في الجزائر(1931-1954)،جامعة الطاهر مولاي،سعيدة،2013م،كم هنا وهناك.

² - سلوادي حسين عبد الرحمن ،عبد الحميد ابن باديس مفسرا،المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر،1984م،ص24.

أن أنصار التجنيس و الاندماج يدركون أن الجزائر ليست بأول أمة احتلت أرضها و أن الاحتلال الفرنسي ليس بأول احتلال على أرض الجزائر¹ فالأمة الجزائرية بعيدة عن فرنسا كل البعد في لغتها و أخلاقها و في دينها لا تريد أن تتدمج و لها وطن محدود معين وهو الوطن الجزائري².

7-المساهمة في نشاط الحركة الوطنية والثورة: شكلت الجمعية أحد تيارات الحركة الوطنية الجزائرية، لذا كان من الطبيعي ظهور تمثلات لقراءاتها ومواقفها وأرائها ونشاطاتها في سياق الأحداث وقضايا الأمة الجزائرية، وتجلت مشاركتها في حضور المؤتمر الإسلامي المنعقد بقاعة الماجستيك (الأطلس بحي باب الواد حاليا) بالجزائر العاصمة في 07 جوان 1936 وياقتراح من الدكتور بن جلول ترأست الجمعية (ابن باديس) المؤتمر وأبحر رئيسها على رأس وفد جزائري لفرنسا لتقديم مطالب الجزائريين إلى حكومة باريس، كما شاركت الجمعية في صياغة البيان الجزائري في 03 فيفري 1943م³، والمتضمن مطالب الجزائريين المقدمة للحاكم العام وحلفاء فرنسا (الولايات المتحدة و بريطانيا) في الحرب العالمية الثانية، وعند اندلاع ثورة التحرير أصدرت بيانات تأييد للثورة منها: البيان الأول في 2 نوفمبر 1954 من إمضاء رئيس الجمعية الشيخ مُحَمَّد البشير الإبراهيمي ومنذوبها الشيخ الفضيل الورثاني، عنوانه: "مبادئ الثورة في الجزائر"، وزع على الصحافة المصرية ووكالات الأنباء العالمية، وجاء البيان ثان في 3 نوفمبر 1954 أمضاء الشيخ الورثاني، ونشره في الصحف المصرية وغيرها بعنوان: "إلى الثائرين الأبطال من أبناء الجزائر اليوم حياة أو موت بقاء أو فناء"، أما البيان الثالث من مكتب القاهرة بتاريخ 11 نوفمبر 1954 أمضاء الشيخان الإبراهيمي والورثاني، تضمن أوسع المعلومات عن بداية الثورة في الجزائر ووزع على الصحافة المصرية ووكالات الأنباء العالمية⁴، وقامت الجمعية استجابة لبيان أول نوفمبر بحل نفسها عام 1956م رغم أنها لم تكن حزبا سياسيا .

8- الاستقلال: لقد طالب ابن باديس باستقلال الجزائر بكفاءة وجرأة، فجعلت منه يشعر بضرورة تطهير البلاد من براثن الاحتلال الفرنسي الجاثم على قلوب الجزائريين ، لذلك نجده عام 1936م ، يعلن موقفه المساند للاستقلال ، حيث قال: "وهل يمكن لمن شرع في تشييد منزل أن يتركه بدون سقف، وما غابتنا

¹ - عامرة تركي رابح ، الشيخ عبد الحميد، ابن باديس رائد الإصلاح الإسلامي و التربية في الجزائر، ط5، منشورات ANEP الجزائر، 2001، ص 287-288.

² - راشد أحمد اسماعيل، تاريخ أقطار المغرب العربي السياسي الحديث و المعاصر ، ط1، دار النهضة العربية ،لبنان 2004، ص 155.

³ - بوعزيز يحي، موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب، ج4 ، دار الهدى، الجزائر، 2004م، ص-37.

⁴ - حداد عبد المالك ،نصوص ووثائق في تاريخ جمعية العلماء المسلمين الجزائريين والثورة، البصائر 29نوفمبر 2017 .

من عملنا إلاّ تحقيق الاستقلال¹ .

كان ابن باديس شغوفاً إلى التضحية بروحه في سبيل تحرير الجزائر من الاحتلال الفرنسي ، وفي مذكرات محمد خير الدين، الجزء الأول، بالصفحة 407، ذكر " الأستاذ إبراهيم الكتاني " أنّه في خريف سنة 1937م في تلمسان بمناسبة افتتاح معهد دار الحديث ، حرر نداء يدعو فيه الأمة الجزائرية للصيام وملازمة المساجد، بمناسبة ذكرى مرور مائة سنة على احتلال قسنطينة ، ولما قرأه على الوفد جعل أحد تلاميذه يثبط عزيمته ويحذره مغبة نشره، فغضب ابن باديس وقال: يا أبنائي، إنكم تعلمون أنّي لم أطلب أي شيء لنفسي، ولكنني اليوم أطلب لنفسي شيئاً واحداً، وهو أن تسمحوا لي أن أكون أول ضحية في سبيل الجزائر عندما يحين الوقت للتضحية في سبيلها، وقبل وفاته في 16 أفريل 1940 م، كان يحضّر لمعركة التحرير رغم انحصار الإمكانيات وتعذر الظروف، لكن الموت أدركته.

ثالثاً: انجازات جمعية العلماء ودورها في نهضة المجتمع الجزائري

- 1- **المدارس:** أنشأت "الجمعية" ما يربو عن " 150 " مدرسة ابتدائية تضمّ " 50 ألفاً " من البنين والبنات، يدرسون مبادئ العربية وعلوم الدين وعلوم الحياة العامة وقد لقيت الدعم من المجتمع الجزائري في نشيدها المدارس بشريا وماليا وأصبحت هذه المدارس ملكاً للأمة وأبنائها².
- 2- **المعهد الثانوي:** أسسته الجمعية عام 1847م، و كان أول معهد للتعليم الثانوي في جامع الأخضر بقسنطينة، حتى يتسنى لتلامذته مواصلة التعليم العالي بجامع الزيتونة والجامع الأزهر ودار العلوم وأطلقت تسمية معهد ابن باديس " تكريماً للشيخ ابن باديس رائد النهضة والإصلاح ويضم "1300" تلميذاً، يدرسون علوم اللغة والدين والتاريخ الإسلامي والرياضيات وعلوم الحياة على المناهج الثانوية.
- 3- **الدفعات المتخرجة:** تخرّج من مدارسها الجمعية الابتدائية نحو "250" ألف تلميذ ولكنها لم تستطع أن تعلمهم التعليم الثانوي لصعوبات المالية وعراقيل فرنسية، ومع ذلك سارت الجمعية في طريق تعليم أبناء الجزائر تدريجياً ومرحلياً³.
- 4- **مشروع "محو الأمية":** سعت الجمعية إلى محاربة الجهل والامية المنتشرة واستطاعت أن تتفقد ما يربو عن "750 ألف" عانوا الأمية اللغوية والثقافية.

¹ - طالبي عمار، ابن باديس، حياته وآثاره ، الجزء 01، دار بن جزم للطباعة والنشر، 2013، بيروت، لبنان، ص-23.

² - طالبي عمار، ابن باديس، حياته وآثاره، المرجع السابق، ص23

³ - نفسه.

- 5- **البعثات العلمية** : أرسلت الجمعية بعثات علمية إلى جامع الزيتونة في تونس وصل في بعض السنوات "1700" تلميذا ولها بعثات إلى جامع القرويين بمدينة فاس وصل عددهم في بعض السنوات إلى "200" تلميذا. أما بعثات المشرق العربي ، فبلغت في مصر البعثة "40" تلميذاً وفي العراق "11" تلميذاً "ولها في سوريا بعثة من "10" تلاميذ. وهناك بعثات أخرى إلى الأقطار العربية والإسلامية
- 6- **مكتب القاهرة**: أنشأت الجمعية في القاهرة مكتباً للإشراف على هذه البعثات الطلابية ، ولمرافقة دراستها وللاتصال والتنسيق بين المشرق العربي والمغرب العربي
- 7- **المكتب الإسلامي بباريس**: لقد أنشأته الجمعية المكتب الإسلامي ودعمته بـ"500 ألف" معلماً ، ليحفظوا على العمال المسلمين الجزائريين دينهم ، ويحفظوا أبنائهم المولودين بفرنسا لغتهم وتربيتهم الإسلامية ، وبلغ عدد الأطفال أكثر من "30" ألف.
- 8- **مراكز التعليم الإسلامي**: أنشأت الجمعية مراكز التعليم الإسلامي في فرنسا وبلغت "35" مركزاً، منها "17" مركزاً في باريس ، وتخرج منها حوالي "200" واعظ ديني.
- 9- **المساجد** : أسست الجمعية حوالي "70" مسجداً في المدن والقرى وعينت عليها أئمة ومدرسين ، وبقيت هذه المساجد تحت تصرفها.
- 10- **النوادي**: أنشأت جمعية العلماء نوادي التهذيب والتربية الإسلامية في المدن وبلغت حوالي "80" نادياً بهدف تبليغ دعوتها فاستقطبت الشباب الجزائري من المقاهي والملاهي¹.
- 11- **التعليم**: اهتمت الجمعية بالتربية والتعليم الإسلامي العربي، وإنشاء المدارس، وحث الأمة على إرسال أبنائها إلى مدارسها، بغية تعليم وتنقيف أكبر عدد ممكن ، وخصت الكبار بدروس الوعظ والإرشاد ومحو الأمية، وفتحت النوادي لإلقاء المحاضرات داخل الوطن وخارجه، حيث شمل ذلك أبناء المهاجرين في أوروبا. وقد تمحورت جهود الجمعية في محاور ثلاثة:
- تأسيس مكاتب حرة للتعليم للصغار.
- تقديم دروس الوعظ والإرشاد الديني في المساجد.
- تنظيم محاضرات في التهذيب في النوادي².
- 12- **المرأة**: اهتمت الجمعية بالمرأة لأهمية دورها في الأسرة والمجتمع ، لذا قدمت للنساء دروس الوعظ

¹ - الإبراهيمي محمد البشير ،جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، 10 ماي 2017، 18:29، AH.

² - الإبراهيمي محمد البشير ،من مواقف الجمعية، القاهرة، سبتمبر 1953 . الاثنين 11 أوت 2008، AH،

والإرشاد و بلغ عددهن في مدارس جمعية العلماء نحو "13 ألف" بنت يشاركن الأطفال في السنوات الثلاث الأولى (الابتدائي)، ثم يتابعن الدراسة.

13- الطرق الصوفية: ضمت فئة الطرق الصوفية في صفوفها بعض الطرفين ورجال الدين الرسميين، الذين كانوا في الجمعية ، وأصبحوا فئة مناوئة تدبروا لها المكائد بمساعدة من الاحتلال وقد تبين أنهم على باطل وضلال وهم سبب تفرق المسلمين لذا قاومت الجمعية بمواجهتهم¹ خاصة بعد أن أسسوا "جمعية علماء السنة" سنة 1932م، وأصدروا بعض الصحف ، منها: "المعيار" و"الرشاد" و"النجاح".

14- محاربة القوانين الفرنسية (التجنيس والتجنيد): نتيجة إصرار فرنسا على تجنيس الجزائريين ومطالبة دعاة الإدماج بالتجنس على توسيع دعايتهم، بعد اجتماعهم عام 1934م، ومطالبهم الحكومة بتسهيل التجنيس، أصدر جمعية العلماء فتوى تكفير من يتجنس بالجنسية الفرنسية، و جاء فيها: "التجنس بجنسية غير إسلامية يقتضي رفض أحكام الشريعة، ومن رفض حكمًا واحدًا من أحكام الإسلام، عدّ مرتدًا عن الإسلام بالإجماع، فالمتجنس مرتدّ بالإجماع". كما حاربت الجمعية التجنيد تحت الراية الفرنسية المسيحية في الحرب العلمية الثانية وحروب الهند الصينية ، حماية لأرواح المسلمين وعائلاتهم ،وعندما طلبت فرنسا من الجمعية إصدار فتاوى بهذا الشأن رفضت الجمعية هذا الأمر مما عرض أعضاؤها للاعتقال وجمّد نشاطها وصدورت مجلاتها.

15- جامعة عربية إسلامية في الجزائر: يذهب رواد جمعية العلماء للاعتقاد بأنّ جامع الزيتونة بتونس، لا يصحّ أن يسمّى جامعة بالمعنى العصري ، ولو تناولوا الإصلاح الناجح في مناهجه والتغيير في كتبه ونظامه، والتوجيه السديد للروح المسيطرة عليه، لأصبح جامعة المغرب العربي كله، وهو- مع ذلك- مهجر وملاذ الجزائر للعلم، أما جامع القرويين بفاس فهو دون جامع "الزيتونة" نظامًا واتساعًا في الدراسات، وأبعد عن التجديد والإصلاح، لأن أصابع الاستعمار الفرنسي لم تسلم منه و دست فيه أكثر من جامع الزيتونة، لذلك فكّرت جمعية العلماء منذ سنوات في تكوين جامعة عربية إسلامية بمدينة الجزائر، تبنى الدراسات العالية فيها على الروح الإسلامية الشرقية الصافية وعلى غايات العلوم الحديثة النافعة ، فتكون تكميلًا للجامعين وعاونًا لهما في إحياء الثقافة الإسلامية وحفزًا لهما على الإصلاح، وقطعت الجمعية مراحل في التفكير والتخطيط وهي تأمل أن لا يبلغ التعليم الثانوي في مدارسها حدّه حتى تكون الجامعة قد فتحت أبوابها، ولكن المال دائمًا هو العقبة².

¹ - إبراهيمي محمد البشير، المصدر السابق.

² - إبراهيمي محمد البشير ، أمهات أعمال جمعية العلماء، الاثنين 08مايو 2017، 16:09 AH 8-5-2017AD

وعليه فقد نجحت جمعية العلماء في التصدي للمشروع الاستدماري وتجلى ذلك في محافظتها على الهوية الحضارية ومقومات الأمة الجزائرية ومنعت الشخصية المحلية من الذوبان والانحلال والسقوط في فخ التغريب والتتصير والفرنسة، وانتصرت في مقاومتها الثقافية ضد الاحتلال الفرنسي وسياساته وقوانينه وأعوانه من ذوي النفوس الضعيفة.

الخاتمة:

إنّ دور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين كان متعدد الجوانب، لنتوع جبهات العمل والمواجهة و بعد العرض الذي تقدم يمكن استخلاص بعض الحقائق منها: -كانت الأعمال الجليلة التي قدّمتها جمعية العلماء متنوعة وهادفة للإصلاح والنهضة بالأمة الجزائرية. -واجهت الجمعية كيد المستعمرين وخذلان الضالين، وتشويش الجاهلين المخربون لبيوتهم بأيديهم. -تعددت انشغالات جمعية العلماء ومست القضايا المحلية المتعلقة بالتعليم والتنشئة والقضايا الإسلامية والدولية مثل دعم التحرر والتضامن مع فلسطين وغيرها من الشعوب المضطهدة. -جمعية العلماء جمعية ذات طابع إصلاحي و ديني، لكن السياسة الاستعمارية هي التي أقحمتها المجال السياسي بقصد أو بغيره.

-قادت الجمعية المقاومة الثقافية باقتدار وحافظت على مقوماتنا وهويتنا وتراثنا من محاولات المسخ الذي قام بها الاحتلال الفرنسي.

-أفشلت الجمعية قوانين الاحتلال الفرنسي وخاصة المتعلقة بالتجنيس والتجنيد. -إنّ المشروع الإصلاحي والنهضوي لجمعية العلماء المسلمين استمدا مرجعياته من مؤثرات عديدة أبرزها الإسلام والعروبة والواقع الاستعماري المفروض.

- الآفاق والتوصيات:

-توجيه اهتمام الباحثين والمهتمين لإعادة دراسة ظروف تأسيس جمعية العلماء وفهم مهمتها التي لم تكن سهلة.

-تناول الجوانب الخفية في أدوار الجمعية والتي أهملت أو اكتفى البعض بقراءات غير دقيقة، تهميش دورها المتعدد الجوانب.

-تسليط الضوء في الملتقيات والندوات الوطنية والدولية على دراسة دورها السياسي و فكرها الثوري قبل الثورة وأثناءها وكشف إسهاماتها و الحقائق التي أقيمت بشأنها.
-تقديم قراءات جديدة تزيل اللبس وتصوب الكتابات التي طالت الجمعية بحبر سلبي وبنوع من التشويه والإساءة بقصد أو بغيره.

-تناول دور الجمعية السياسي والثوري بشكل منفرد لقادتها ورجالاتها أو كتنظيم وتيار من أطراف الحركة الوطنية وتناول دور مناضلي وشهداء وطلبة الجمعية وبعثاتها.

قائمة المصادر والمراجع:

أولاً: الكتب

- 1- إبراهيمي محمد البشير، سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، قسنطينة، 1935 م.
- 2- الشهاب، ج 4، م 13، 11 جوان 1937.
- 3- البصائر، س 2، ع 71، 18 جوان 1937.
- 4- البصائر، العدد 79، 20 أوت 1937.
- 5- الشهاب، ج 4، م 13، 11 جوان 1937.
- 6- غانم حبيب، ابن باديس، مجلة البصائر، س 2، ع 71، 18 جوان 1937.
- 7- إبراهيمي محمد البشير، سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، قسنطينة، 1935 م.
- 8- إبراهيمي محمد البشير، من مواقف الجمعية، القاهرة، سبتمبر 1953. ينظر أيضا: الاثنين 11 أوت 2008، 17:18، AH.
- 9- خير الدين محمد، مذكرات، المؤسسة الوطنية للكتاب-ج 2-، الجزائر، 1983.
- 10- الشهاب، العدد 1، نوفمبر 1925.
- 11- ابن باديس عبد الحميد، مجلة الشهاب، س 3، ع 49، 23 أوت 1926.
- 12- ابن باديس عبد الحميد، نحن مسلمون وكفى، مجلة الشهاب، ج 11، م 10، أكتوبر 1934.
- 13- ابن باديس عبد الحميد، مجلة الشهاب، ج 3، م 11، جوان 1935.
- 14- عباس فرحات، الشاب الجزائري، ترجمة أحمد منور، وزارة الثقافة، الجزائر عاصمة الثقافة، 2007.
- 15- المدني أحمد توفيق، مذكرات كفاح الحياة ج 2- ط 2 المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988.
- 16- بن مزيان بن شرقي، قصيدة الشاعر الشيخ عبد الحميد ابن باديس، شعب الجزائر مسلم، جامعة وهران، منتدى لاغورا، حديث السبت، الحلقة 01، منقولة: 16 أبريل 2020 م.
- 17- بوخليفة محمد العربي، المحنة الكبرى، مدخل لدراسة توصيفية عن معاناة شعبنا ومقاومته البطولية، نصوص مختارة، دارالأمل للطباعة و النشر الجزائر، 1999.
- 18- حداد عبد المالك، نصوص ووثائق في تاريخ جمعية العلماء المسلمين الجزائريين والثورة، البصائر 29 نوفمبر 2017.
- 19- حلوش عبد القادر، سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر، دار الأمة، الجزائر 2010.
- 20- عمامرة تركي رايح، الشيخ ابن باديس عبد الحميد، ابن باديس رائد الإصلاح الإسلامي و التربية في الجزائر، ط 5، منشورات ANEP الجزائر، 2001.

التناول التاريخي لدور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بن جدلية العلم والسياسة

- 21- الإبراهيمي محمد البشير، آثار الشيخ البشير الإبراهيمي، جمع وتقديم: أحمد طالب الإبراهيمي، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1977.
- 22- الإبراهيمي محمد البشير، أمهات أعمال جمعية العلماء، الاثنين 08 مايو 2017، 16:09 AH 8-5-2017AD.
- 23- الإبراهيمي محمد البشير، دعوة مكررة إلى الاتحاد، عيون البصائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د.ط.د.ت.
- 24- الإبراهيمي محمد البشير، عيون البصائر، ج2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، بدون تاريخ.
- 25- الإبراهيمي محمد البشير، في قلب المعركة - دار الأمة - الجزائر - 2007 .
- 26- الإبراهيمي محمد البشير، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، 10 ماي 2017، AH, 18:29.
- 27- الحسني محمد الهادي، أشعة الشروق، دار الأمة للطباعة والنشر، الجزائر، 2010.
- 28- الساعدي عبد جاسم، جمعية العلماء المسلمين وتأثيراتها الفكرية في النهضة الجزائرية، الخميس 30 مارس 2017، -3-30 AH 14:58 AD، 2000/04/03، العدد: 13536.
- 29- السحمراني أسعد، مالك بن نبي مفكرا إصلاحيا، دار النفائس، بيروت، لبنان، ط2، 1986.
- 30- الصديق محمد الصالح، الإمام الشيخ عبد الحميد بن باديس، من آرائه ومواقفه، دار البعث، قسنطينة، 1983.
- 31- العسلي بسام، عبد الحميد ابن باديس وبناء القاعدة الثورية الجزائرية، ط3، دار النفائس، بيروت، 1986.
- 32- المدني أحمد توفيق، محاضرات في اللغة و الفكر و التاريخ، القسم الأول، أبطال ورجال، دار البصائر، الجزائر 2008.
- 33- الورثيلاني الفضيل، الجزائر الثائرة، ط3، دار الهدى، 2008، الجزائر.
- 34- أمين أحمد، زعماء الإصلاح في العصر الحديث، ط3، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1884-1954.
- 35- بلخير عمر، الخطاب الصحافي الجزائري المكتوب، دار الحكمة للنشر، الجزائر، 2009.
- 36- بن المنتصر علي الكتاني، خالد بن برايم الكتاني، العلامة محمد إبراهيم بن أحمد الكتاني، حياة علم وجهاد (1325-1411هـ)، مطبعة النجاح الحديثة، جامعة ميتشيجان، 1992م.
- 37- بن رمضان شاوش محمد، بن حمدان الغوثي، إرشاد الحائر إلى آثار أدباء الجزائر، ط1، مطبعة داود بريكي، الجزائر، 2001.
- 38- بن سميحة محمد، أسس مشروع النهضة عند الشيخ عبد الحميد بن باديس، المضمون وصورة التعبير، ج1، منشورات المجلس الإسلامي الأعلى، الجزائر، د.ط.د.ت.
- 39- بن مزور عمار، عبد الحميد بن باديس ومنهجه في الدعوة والإصلاح، بطل أعلى للطباعة الجزائر، ب.ت.
- 40- بوحجام أحمد ناصر، أبو اليقظان وجهاد الكلمة، طبعة أحمد زبانية، الجزائر، 1980.
- 41- بوحوش عمار، التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997.
- 42- خوشي جمال، الاستعمار وسياسة الاستيعاب في الجزائر، (1830-1962)، ترجمة: عب دالسلام عزيزي، دار القصبة للنشر الجزائر، 2009.
- 43- خرفي صالح، المدخل إلى الأدب الجزائري الحديث، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983م.
- 44- راشد أحمد إسماعيل، تاريخ أقطار المغرب العربي السياسي الحديث والمعاصر، ط1، دار النهضة العربية، لبنان 2004.
- 45- سعد الله أبو القاسم، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، دار الغرب الإسلامي - ط2 - ج 1998، بيروت.
- 46- سلوادي حسين عبد الرحمن، عبد الحميد ابن باديس مفسرا، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م.
- 47- شيبان عبد الرحمن، مقدمة مجلة الشهاب أنشأها الإمام عبد الحميد ابن باديس، دار المعرفة، الجزائر، 2009.
- 48- طالبي عمار، ابن باديس، حياته وآثاره، الجزء 01، دار بن جزم للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 2013.
- 49- طلاس مصطفى، بسام العسلي، الثورة الجزائرية، ط2، دار الرائد للكتاب، الجزائر، 2010.

التناول التاريخي لدور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بن جدلية العلم والسياسة

- 50- طهاري محمد، الحركة الإصلاحية في الفكر الإسلامي المعاصر، ج3، دار الأمة، الجزائر، 2010، .
- 51- عباس محمد، البشير الإبراهيمي أديبا، ديوان المطبوعات الجامعية، المطبعة الجهوية، وهران، الجزائر، 1984م.
- 52- عبد القادر حميد، فرحات عباس، رجل جمهورية، دار المعرفة الجزائر، د.ت.
- 53- صالح بلحاج، تاريخ الثورة الجزائرية، دار الكتاب الحديث، الجزائر، 2009.
- 54- عمارة تركي رباح، جمعية العلماء المسلمين التاريخية (1931 - 1956) ورؤساءها الثلاثة، ط1، المؤسسة الوطنية
- 55- عمورة عمار، نيزبيل دادوة، الجزائر بوابة التاريخ ما قبل التاريخ إلى 1962 إلى 1962، جزائر عامة، دار المعرفة الجزائر، 2009.
- 56- فهمي سعد، حركة عبد الحميد بن باديس ودورها في يقظة الجزائر، دارالرحاب، بيروت، لبنان، ط1، 1983.
- 57- فوزيل عبد القادر، محمد صالح رمضان، إمام الجزائر عبد الحميد بن باديس، ط3، دار الأمة، الجزائر، 1989
- 58- قداش محفوظ، تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية (1919 - 1939)، ترجمة محمد بن باز، ج1، دار الأمة 2008 .
- 59- قنانش محمد، قداش محفوظ، نجم الشمال الإفريقي 1937-1998 وثائق وشهادات لدراسة تاريخ الحركة الوطنية ديوان المطبوعات الجامعية. للفنون المطبعية، الجزائر، 2004 .
- 60- لونيسي رباح وآخرون، تاريخ الجزائر المعاصر 1830 - 1989، ج2 دار المعرفة، 2010 .
- 61- مجموعة من الباحثين، الإيديولوجيات السياسية للحركة الوطنية من خلال ثلاثة وثائق جزائرية (1926، 1953)، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر.
- 62- مراد علي، الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر (1925-1940)، وزارة المجاهدين، طبعة خاصة، 2007م .

-باللغة الأجنبية:-

- 63- alex mucchielli, l'edentité ,puf 4eme edition, paris 1986, p87.
- 64- charl robert ageron ; histoire de l'algerie contemporaine 1830-1966 que sais je N° 400 édition presses universitaire de France , paris , 1966 .
- 65- l'houari addi, l'impasse du populise, l'algerie collectivité politique et état en construction, enal, alger 1990.
- 66- Mahfoud Kaddache Djilali Sari: l'Algérie dans l'histoire, QPU, Alger, 1989.

رابعاً: الرسائل والمذكرات:

- 67- عجالي كمال، الطيب العقبي أديباً، رسالة دكتوراه الدولة في الأدب الحديث، جامعة قسنطينة، معهد اللغة والأدب العربي، 1997-1998 .
- 68- عمارة حياة، أدب الصحافة الإصلاحية الجزائرية من عهد التأسيس إلى عهد التعددية، دكتوراه في الأدب، كلية الآداب واللغات، جامعة تلمسان، 2014-2015 .
- 69- خادم معاشو، صحافة التيار الإصلاحي في الجزائر (1931-1954)، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة سعيدة الطاهر مولاي، 2013-2014.

خامساً: المقالات:

- 70- الهلالي إبراهيم، قراءة في المصادر والمرجعيات المشروع النهضوي في فكر جمعية العلماء المسلمين، مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية العدد 44، جامعة تلمسان، 2018.